من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يهبت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم ولا فخر وعلى معنى هذا نفصل نظنا هذا القسم بأسره والله اعلم فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادهم توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا

على جمعه فاد كثرته كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد استلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في مصرف فائق فمامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مولى بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيد من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده شيء منه والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبيت اليه مراخماسها وجزيها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادنه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرف مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لدين وانه دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)